

الخطبة الخامسة والسبعون فتنة القبر وعذاب القبر

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيد المرسلين، وعلى آله وصحبه أجمعين، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد يحيي ويميت وهو على كل شيء قدير، وأشهد أن سيدنا ونبينا محمداً عبده ورسوله، بلغ الرسالة وأدى الأمانة ونصح الأمة حتى أتاه اليقين، فصلوات ربي وسلامه عليه وعلى صحابته الكرام والتابعين بإحسان إلى يوم الدين.

إن خير الكلام كلام الله تعالى، وخير الهدي هو هدي محمد صلى الله عليه وسلم، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار، أما بعد:

فمما لا شك فيه أن للقبر فتنة، وقد جاء في حديث أسماء بنت أبي بكر رضي الله عنها وعن أبيها أن رسول الله ﷺ قال في حديث الكسوف: «وأنه قد أوحى إليّ أنكم تفتنون في القبور» البخاري (922) - مسلم (584)، وجاء في حديث عائشة رضي الله عنها وعن أبيها أن رسول الله ﷺ كان يقول: «اللهم إني أعوذ بك من الكسل والهَرَم، والمأثم والمغرم، ومن فتنة القبر وعذاب القبر» البخاري (6368) - مسلم (3723).

1. فما هي فتنة القبر؟

قال بعض أهل العلم: إن الفتنة هي سؤال الملكين، وسؤال الملكين يتضمن السؤال، مَنْ ربك؟ وما دينك؟ ومن نبيك؟ كما جاء في حديث البراء بن عازب وغيره، والأحاديث في هذا صحيحة، وقال آخرون: فتنة القبر هي في طريقة مجيء الملكين لأنهما يأتيان بصورة مُفزعَة، قال ﷺ: «إِذَا قُبِرَ الْمَيِّتُ

أتاه ملكانِ أسودانِ أزرقانِ، يُقالُ لأحدهما: المنكرُ والآخرُ: النكيرُ. فيقولانِ: ما كنتَ تقولُ في هذا الرجلِ؟ فيقولُ: هو عبدُ الله ورسولُه، أشهدُ أن لا إلهَ إلا اللهُ وأن محمداً رسولُ الله، فيقولانِ: قد كنا نعلمُ أنك تقولُ هذا، ثم يُفْسَحُ له في قبره سبعونَ ذراعاً في سبعينِ، ثم يُنَوَّرُ له فيه، ثم يُقالُ: نَم، فيقولُ: أرجعُ إلى أهلي فأخبرهم، فيقولانِ: نَم كنومةِ العروسِ الذي لا يُوقظُه إلا أحبُّ أهله إليه، حتى يبعثه اللهُ من مَضَجِهِ ذلك. وإن كان منافقاً قال: سمعتَ الناسَ يقولونَ؛ فقلتُ مثلهم: لا أدري، فيقولانِ: قد كنا نعلمُ أنك تقولُ ذلك. فيقالُ للأرضِ: التَّيَّمِي عليه؛ فتلتئمُ عليه فتختلفُ أضلاعُه فلا يزالُ فيها معذباً حتى يبعثه اللهُ من مَضَجِهِ ذلك» ت عن أبي هريرة، وكما قال عليه الصلاة والسلام: أسودانِ أزرقانِ، وفي روايةٍ أخرى: بأيديهما مطارق، فطريقة الملكين هذه مُفزعَةٌ ويرتعد الإنسانُ خاصة إذا لم يكن من ذوي الإيمان الخالص ومن ذوي أصحاب الأعمال الصالحة -والله أعلم-. عن عائشة رضي الله عنها وعن أبيها أن رسول الله ﷺ قال: «إن للقبر ضغطة، ولو كان أحد ناجياً منها، نجا منها سعد بن معاذ» حم - صححه العراقي، وعن ابن عمر رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: عن سعد بن معاذ رضي الله عنه لما توفي: «هذا الذي تحرك له العرش، وفتحت له أبواب السماء، وشهدهُ سبعون ألفاً من الملائكة، لقد ضُمَّ ضَمَّةً ثم فُرِّجَ عنه» سنن النسائي، وعن أبي أيوب الأنصاري أن صبيّاً دفن، فقال ﷺ: «لو أفلت أحدٌ من ضمة القبر لأفلتَ هذا الصبي» طب - السلسلة الصحيحة (2164).

ومن أهل العلم من قال: إن فتنة القبر هي عذاب القبر. وهذا ليس سليماً، لأن الرسول عليه الصلاة والسلام من حديث عائشة رضي الله عنها والمتفق عليه من قبل البخاري ومسلم قال ﷺ: «اللهم إني أعوذ بك من فتنة القبر وعذاب القبر» فحيث أن رسول الله ﷺ فرَّق بينهما فلا يُعقل أن يكونا واحداً وإنما هما أمران مختلفان -والله أعلم-.

ومن أهل العلم من قال: إن فتنة القبر هي العَرَضُ كما في قوله تعالى: ﴿أَلْتَأْتُرُ

يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا ﴿[غافر: 40 / 46]﴾، تُعرض النار عليهم صباح مساء وهو الذي يسبب الألم والعذاب، وقد ردّ بعض العلماء هذا الفهم وقالوا: إن العرض للكفار والمنافقين نفاقاً مخرجاً من الملة، وهذا ليس للمسلمين.

أختم بالقول: إن الله سبحانه أعلم بالتأويل الصحيح لفتنة القبر، لكن كما قال عثمان بن عفان رضي الله عنه: «القبر أول منازل الآخرة، فإن كان حسناً فما بعده أحسن منه، وإن كان شراً فما بعده أشد منه أو أسوأ منه»... وجاء بطريق قوله ﷺ: «إن القبر أول منازل الآخرة، فإن نجا منه فما بعده أيسر منه، وإن لم ينجُ منه فما بعده أشد منه» الترمذي - جه - صحيح الجامع (1684).

وأنا مأمور بأن أستعيذ بالله من فتنة القبر، لأن رسول الله ﷺ وصى بهذا من حديث عائشة رضي الله عنه، فأنا أستعيذ من عذاب القبر ومن فتنة القبر، سواء فهمت معنى الفتنة أم لم أفهمه.

2. ما هو عذاب القبر؟

قيل: إن الملكين يضربانه بمطرقة - إذا عجز الميت عن الجواب - فيسمع صوته كل شيء إلا الثقلين؛ (الإنس والجن). من حديث البراء بن عازب رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «ثم يقيض له أعمى، أصم، أبكم في يده مِرْزَبَةٌ لو ضرب بها جبل كان تراباً، فيضربه ضربة حتى يصير تراباً، ثم يُعيده الله كما كان، فيضربه ضربة أخرى، فيصيح صيحة يسمعه كل شيء إلا الثقلين، ثم يفتح له باب من النار ويُمهّد له من فُرْشِ النار» حم - صحيح الترغيب والترهيب (219 / 3)، وعن زيد بن ثابت رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «إن هذه الأمة تبتلى في قبورها، فلولا أن لا تدافنوا لدعوت الله أن يسمعكم عذاب القبر الذي أسمع منه» مسلم (2868).

وقيل: إن العذاب في ضيق القبر، وضيق القبر يختلف باختلاف الأعمال، فالكافر والمنافق كما جاء في حديث البراء بن عازب رضي الله عنه حيث قال ﷺ: «يُضَيَّقُ عَلَيْهِ قَبْرُهُ حَتَّى تَخْتَلِفَ أَضْلاَعُهُ» حم - والمسلم يُفْسَحُ عَنْهُ الْقَبْرُ بَعْدَ

الضغطة، للأحاديث الصحيحة التي وردت، ومن أشهرها دفن زينب رضي الله عنها بنت النبي ﷺ حيث قال: (ثم سُرِّيَ عنها) أي: انفرج القبر عنها.

وقيل: إن العذاب يكون في أن يفتح له فيرى مقعده من النار، فعن ابن عمر رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «إن أحدكم إذا مات عُرض عليه مقعده بالغداة والعشي، إن كان من أهل الجنة فمن أهل الجنة، وإن كان من أهل النار فمن أهل النار، يقال: هذا مقعدك حتى يبعثك الله إليه يوم القيامة» متفق عليه.

وقيل أقوال كثيرة في عذاب القبر، ولا يهم ما قيل؛ لأن الثابت ثباتاً لا شك فيه هو أن للقبر عذاب وللقبر فتنة، وقد أمرنا رسول الله ﷺ أن نتعوذ منهما. بغض النظر عن بعض المشككين، أو المتأولين، وكما قيل: ليس لأحد قول بعد قول رسول الله ﷺ وقد ثبت عنه عذاب القبر وفتنته.

وبعض العلماء علق عذاب القبر بأعمال؛ منها:

1. عدم التنزه من البول.
2. والنميمة؛ كما جاء في حديث البخاري قوله عليه الصلاة والسلام حين مر على قبرين فقال: «إنهما يعذبان وما يعذبان في كبير، أما أحدهما فكان لا يستنزه من البول، وأما الآخر فكان يمشي بالنميمة» وقوله عليه الصلاة والسلام: «تنزهوا من البول فإن عامة عذاب القبر منه» رواه الدارقطني عن عبد الله بن عباس - حديث صحيح.
3. وأن يصلي الإنسان بغير طهور. من حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «أمرَ بعبد أن يُجلد في قبره مئة جلدة، فما زال يسأل الله عز وجل حتى صارت جلدة، فلما ضرب اشتعل عليه قبره ناراً، فلما أفاق، قال: علامَ جلدتموني؟ قيل له: إنك صليت صلاة من غير طهور، ومررت على مظلوم فلم تنصره» السلسلة الصحيحة (2774) مصنف عبد الرزاق وابن أبي شيبة، والله أعلم أنه صلى بغير طهور عمداً أو استخفافاً أو رياءً لأنه لا يصلي، ولكن وُجد مع قوم فقام فصلى معهم بغير طهور، وأنه مرّ

- على مظلوم فلم ينصره، وهو قادر على أن ينصره، -لأن الأصل: (لا يكلف الله نفساً إلا وسعها)- فلم ينصره استهزاء أو تحقيراً أو شماتة -الله أعلم-.
4. والغيبة، لحديث شعبة: (أما أحدهما فكان يأكل لحوم الناس) حم - طب.
5. والذي يكذب فتبلغ كذبه الآفاق، كما جاء في حديث سمرة بن جندب في البخاري، الكذب على الله ورسوله لقول تعالى: ﴿فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِآيَاتِهِ﴾ [الأعراف: 37].
6. الغلول؛ وهو الأخذ من غنائم الحرب قبل أن تقسم بين الناس، وحديث أبي هريرة رضي الله عنه عند خروجهم إلى خيبر، فلما نزلوا الوادي بعد أن أخذوا غنائم من طعام وشراب وملابس وأمتعة، وفي الوادي قام عبد رسول الله ﷺ يحلُّ رحله حتى يرتاحوا، فرمى بسهم فكان فيه حتفه، يقول أبو هريرة رضي الله عنه: فقلنا: هنيئاً له الشهادة يا رسول الله، فقال ﷺ: «كلا والذي نفس محمد بيده، إن الشملة لتلتهب عليه ناراً، أخذها من الغنائم يوم خيبر لم تُصبها المقاسم، قال: ففزع الناس» فتح الباري شرح صحيح البخاري (6052)، وقيل أيضاً: من أسباب عذاب القبر.
7. الزنا وأكل الربا، والنوم عن الصلاة، والنوم على مخالفة القرآن الكريم. والله تعالى أعلم.

3. كيف أنجو من عذاب القبر وفتنة القبر؟

أولاً - العقيدة الصحيحة والعمل الصالح؛ لأن العقيدة الصحيحة والعمل الصالح يجعلانك بإذن الله تجيب على الأسئلة بكل اطمئنان، وأن تقول: أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً رسول الله، ففي البخاري عن البراء بن عازب رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «المسلم إذا سُئل في القبر يشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله فذلك قوله: ﴿يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ﴾ [ابراهيم: 27 / 14]» متفق عليه، فنسأل الله سبحانه وتعالى الثبات في الدنيا والآخرة. وعن أسماء بنت أبي بكر رضي الله عنها وعن أبيها

قالت: قال رسول الله ﷺ: «إذا دخل الإنسان قبره حف به عمله الصالح: الصلاة والصيام، فيأتيه الملك من نحو الصلاة فترده، ومن نحو الصيام فيرده، فيناديه: اجلس، فيجلس، فيقول له: ما تقول في هذا الرجل؟ قال: من؟ قال: محمد، فيقول: أشهد أنه رسول الله، فيقول: وما يدريك؟ أدركته؟ قال: أشهد أنه رسول الله، يقول: على ذلك عشت وعليه مت وعليه تبعث» حم - طب.

وأهم الأعمال الصالحة: القيام بالفرائض، وأداء النوافل، والحرص على حقوق العباد من مال وحفظ للأعراض، وعدم أذية الناس أو ظلمهم بأي شكل، وحسن الخلق، وإدخال السرور على قلب المسلمين، والنصح والدعوة لهم وتمني الخير للناس، والصلح بينهم وستر عيوبهم ومسامحتهم، وقراءة القرآن بتدبر وفهم وتطبيق، وأن تأتي الناس بما تحب أن يأتوك به.

ثانياً - الأدعية؛ وقد ذكر لنا رسول الله ﷺ جملة من الأدعية تنجي بإذن الله من عذاب القبر ومن فتنة القبر منها الأدعية قبل النوم، وبعد الصلوات، وعند الفجر وعند العشاء.

1. عن ابن مسعود رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «من قرأ الآيتين من آخر سورة البقرة في ليلة كفتاه» د - ت.
2. عن أبي أمامة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «من قرأ آية الكرسي دُبُر كل صلاة مكتوبة، لم يمنعه من دخول الجنة إلا أن يموت» النسائي وابن حبان.
3. وعن تميم الداري رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «من قرأ بمئة آية في ليلة، كُتِب له قنوت ليلة» الدارمي.
4. عن سليمان بن صرد رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «من قتله بطنه لم يُعذب في قبره» حم - ت - ن - حب.
5. قال ﷺ: «من قرأ: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ عشر مرات بنى الله له بيتاً في الجنة» حم عن معاذ بن أنس.

6. عن أبي أيوب الأنصاري رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «من قرأ: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ فكأنما قرأ ثلث القرآن» حم - ت - ن.
7. عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «من قال: لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير، في يوم مئة مرة كانت له عدلٌ عشر رقاب، وكتبت له مئة حسنة، ومحيت عنه مئة سيئة، وكانت له حرزاً من الشيطان يومه ذلك حتى يمسي، ولم يأت أحد بأفضل مما جاء به، إلا أحد عمل عملاً أكثر من ذلك» متفق عليه، حم - ت - د.
8. عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «من قال: رضيت بالله رباً، وبالإسلام ديناً، وبمحمد نبياً وجبت له الجنة» د - حب - ك.
9. وعن أبي الدرداء رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «من قال إذا أصبح وإذا أمسى: حسبي الله لا إله إلا هو عليه توكلت وهو رب العرش العظيم سبع مرات كفاه الله ما أهمه من أمر الدنيا والآخرة» صحيح أبي داود.
10. عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «ألا أدلك على كنز من كنوز الجنة؟ قلت: بلى يا رسول الله، قال: لا حول ولا قوة إلا بالله» متفق عليه.
11. عن فروة بن نوفل أنه أتى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله علمني شيئاً أقوله إذا أويت إلى فراشي، قال ﷺ: «اقرأ: قل يا أيها الكافرون؛ فإنها براءة من الشرك» ت - د - صحيح الجامع (1161).
12. وعن أنس رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «ومن قرأ: قل يا أيها الكافرون؛ عدلت له بربع القرآن» صحيح ت.
13. التعوذ من عذاب جهنم. فعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «إذا تشهد أحدكم فليستعذ بالله من أربع؛ يقول: اللهم إني أعوذ بك من عذاب جهنم، ومن عذاب القبر، ومن فتنة المحيا والممات، ومن شر فتنة المسيح الدجال» رواه مسلم (588)، وعن أنس رضي الله عنه أن

رسول الله ﷺ قال: «من سأل الله الجنة ثلاث مرات، قالت الجنة: اللهم أدخله الجنة، ومن استجار من النار ثلاث مرات، قالت النار: اللهم أجره من النار» سنن الترمذي (2572) - جه (4340).

ثالثاً - حقوق العباد. عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: حَقُّ المسلم على المسلم سِتٌّ، قالوا: ما هنَّ يا رسولَ الله؟ قال: «إذا لقيته فسَلِّمْ عليه، وإذا دعاك فأجبه، وإذا استنصحك فانصَحْ له، وإذا عطس فحمد الله فشمِّته، وإذا مرض فعده، وإذا مات فاتبعه» مسلم (2163).

هذه حقوق واجبة، ولكن هناك حقوق أوجب منها مثل: أن لا تكذب عليه ولا تغشه ولا تحقره ولا تتهمه في أمانته وسمعته أو تستغيبه، فعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «لا تحاسدوا ولا تباغضوا ولا تناجشوا ولا تدابروا، ولا يبع أحدكم على بيع بعض، وكونوا عباد الله إخواناً، المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يخذله ولا يحقره، كل المسلم على المسلم حرام دمه وماله وعرضه» مسلم.

رابعاً - تعلق القلب بالله تعالى. بالدعاء والتضرع والتوسل وحسن الظن بالله تعالى والتوكل عليه، ومحبة شرعه وسنة نبيه، والخوف منه، والإنابة إليه، والتوبة والاستغفار، فعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «من قَعَدَ مَقْعَدًا لم يذكر الله فيه، كانت عليه من الله تِرَةً، ومن اضطجع مضجعاً لا يذكر الله فيه كانت عليه من الله ترة» أبو داود - الترغيب والترهيب.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين

وسلم اللهم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه

